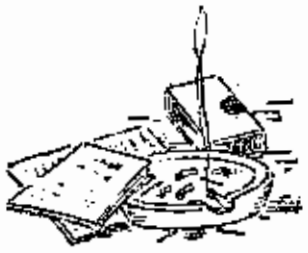

فن المراجعة والتعقيب [1]

للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

مراجعة الكتب الجديدة والتعقيب عليها ، سميع حديث في الصحافة يطل منه القارىء على حقل الفكر وثماره المتنوعة الألوان . فهو بمثابة الضوء الهادي لطلاب المعرفة ، والموجة الدافعة للتأليف الأدبي والفني والعلمي .

وهدف المراجعة تزويد القارىء بمعلومات مرشحة عن الكتب الجديدة ، وإعطاؤه صورة واضحة أمينة عن قيمتها، لاثارته إلى مطالعة الصالح والحجب له وتركه السيء أو غير الملائم لميوله.

فعمل المعقب ، عمل كبير من الناحيتين الخلقية والفنية ، يقتضي الكياسة والأمانة والنزاهة والانصاف ، كما يتطلب الذوق والمعرفة والذكاء ، وأصول الصناعة الفنية .

وهو في ولوجه هذا الباب من الكتابة ، قد تمثل أمام القارىء أمانة غربلة ثمرات القرائح ، كما تمثل أمام الفن ، تبعة معايشة المؤلف ، والتحليق في جوه ، والاستغراق في الكشف عن تجاربه ، ووجهات نظره .

وهذه العملية الأخيرة ، تمثل حرية المؤلف في ابتداعه ، لأن المعقب يواجه في كل كتاب، تجربة جديدة ، تدعوه إلى ملاقاة الكتاب في أنس ، والتآلف مع مؤلفه ، والاقتران بأفكاره ومواطفه ، والتعبير عن تأثراته وانطباعاته تعبيراً مؤدباً صادقاً شريفاً ذكياً مستقلاً .

وتتفاوت هذه العملية بتفاوت الفن الذي يعالجه المعقب ، فهي في العميم الشعري

---

(١) استعملنا « التعقيب » بمعنى « المراجعة » في هذا المقال من باب التجوز ، والمقصود بها الكلمة الانجليزية Review .

غيرها في الصنع الروائي أو الدرامي . إذ يتطلب كل منها في من المعقب تحيزاً سيكولوجياً وفنياً خاصاً .

فالمعقب على الشعر مثلاً ، يجهد في ان ... ل تجاريب الشاعر ، ومدى طاقته وأخلاصه وسحره في التعبير عنها . والمعقب على الرواية يقبل على قراءتها في شوق ليتعرف أفكار الكاتب وأهدافه ، ويستكشف نفسه عما إذا كان قد وجد فيها صورة صادقة من صور الحياة وملامح الناس . والمعقب على الدراما ، يكشف عن تأثراته وانفعالاته وقدرة المؤلف في بيان مجرى سيرات الناس ، وأعمال القدر ، وكذلك يتتبع الأحداث ، واشعاعات الشخوص ، وصدق الحوار وجو الرواية وما إلى ذلك من مستلزمات الصناعة الفنية .

وفن التعقيب ، له أصوله وقواعده وطرقه الخاصة ، والملحوظ في هذا الفن ، أن يبدأ المعقب بنقطة معينة تحدد شوق القارىء ، وتثير اهتمامه ، ويتبعها بالمعلومات التي يريد اثباتها ، ويرتبها على مقتضى أهميتها ، وتدور هذه المعلومات ، كما يقول روبرتسون في كتابه (مقدمة عن الصحافة الحديثة) [1] حول بيان هدف المؤلف ومدى نجاحه فيما سعى إليه ، ووصف الكتاب ومحتوياته وأسلوبه ، وعقد مقابلة بينه وبين ما وضعه المؤلف من كتب ، أو ما أخرج الغير من كتب مماثلة ، ثم تقدير الكتاب وتقييمه .

ويجمل بالمعقب اختيار فقرة أو أكثر ، اختياراً سديداً لبيان فكرة من الفكرات الجوهرية للكاتب ، وإلقاء ضوء على أسلوبه ونغمته ، ولا يحق له إذا وجد كتاباً قيماً ، أن يقتطف منه فقرة ضعيفة أو جملة واهنة زحفت فيه ، لمخالفة ذلك لأصول الصحافة النظيفة .[2]

ومن المستحسن عند الانتهاء ، أن لا يبين المعقب النهاية ، بل يدع للقارىء التشوق إلى قيمة الكتاب بنفسه ، والاعتماد على ما قدم المعقب من معلومات في تعقيبه . وفي انتهاء النهاية ، إثارة القارىء ، إلى المسالمة . ودعوة لاقتناء الكتاب المعقب عليه .

وأهم ما يجب على المعقب ، إن يتحلى في تناوله للكتاب المعقب عليه ، باللطف والأدب بل الكرم ، لأن التعقيب تعريف الكتاب الجديد للقارىء تعريفاً حصيفاً ، وبيان وجهة نظر المؤلف ، وشرحها وتفسيرها فهو ليس بنقداً ، وإن كان رافداً من روافده . لأن النقد خط دقيق عميق ، يباح فيه مخالفة المؤلف في آرائه ووجهات نظره ، كما يباح له مهاجمة المؤلف بل تجريحه فيما كتب بشرط أن لا يمس شخصه .

وليس التعقيب إلا نوعاً من المصادقة للكتاب ، وتقديمه للقارىء ، وتقصي الكيفية

(1) Stewart Robertson — Introduction to Modern Journalism p. 303 — 1930

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٣

عند التقديم ، أن يتحلى المقدم باللطف والتواضع ، وفي هذا يقول « ج . م . يونج » في كتابه « المقالات الأخيرة » [1] إن لقاء الكتاب الجديد كلقاء الصاحب الجديد : يجب أن يكون مفعماً بالبشر والترحاب والحب ، لمعرفة خلقه ، وسير غوره ، واكتشاف سره ، فاذا كان أول ما ينعطف في الصاحب الجديد وجهه وصوته ، والتعرف من حديثه على هدفه ورغباته ، وتكوين فكرة عن خلقه ، ثم اصدار حكم قريب من الصواب ، بصدد التجارب معه .

فكذا الحال في التعقيب . يبدأ المعقب رفيقاً لطيفاً ، كما يبدأ اللقاء ثم يتناول المعقب تعبير المؤلف ، ليتعرف مواءمة عباراته لآرائه ، أو تفصحه ، وميل عباراته إلى الزركشة وتغطيتها على آرائه . وبمعنى آخر يكشف عما إذا كان حديث المؤلف حديثاً طبيعياً بعيداً عن الادعاء والغرور ، حديثاً مذباً مقبولاً لدى القارىء المثقف والعادي على السواء .

فالمعقب لا يقول ما يشاء ، بل ما ينبغي أن يقال ، وحريته في التعقيب مقيدة كما يقول هوكنج — في كتابه « حرية الصحافة » [2] « بالمواطنية الطيبة ، واللياقة الواجبة » والمعقب الذي يصدر في تعقيبه عن خشونة أو غضب ثائر ، والذي تنطوي تعقيباته على إثارة الأحقاد والشكوك والمبالغة في الانفعالات ، لا يحق له أن يمسك القلم حتى يتأدب النفس ، لأن هذا الأدب كما يقول — ووتلدج — في كتابه « سياسات الرجل غير السياسي » [3] ضرب من الثقافة ، وبعض الكتّاب تنقصهم هذه الثقافة ، وإن أخرجوا « أدباً ذكياً » ولا مفر مع دماثة المعقب ، من معرفته للمقاييس التي يقاس بها العمل الأدبي أو الفني الذي يعقب عليه ، وإلا كان تعقيبه واهناً لا يقوم على أساس صلد ، وفي ذلك يقول « إدجار ديل » في كتابه « كيف تقرأ الصحيفة » [4] : أن الناقد الحسن أو المعقب لا يقول لنا عما شعر به فقط ، بل أنه يثبت رأيه فيما قرأ . فلا يقول : « أحببت هذا الكتاب أو هذا الفلم ، أو لم أحبه ، بل عليه أن يقول لم أحبه أو كرهه ؟ ولماذا ارتأى أنه حسن أو ردىء ، أنه يناقش قيمة الكتاب » « ولا بد أن تكون لديه تجربة في الميدان الذي يغامر فيه ، ويحكم على هذا الأساس » « وكثير من النقاد أو المعقبين لم يكونوا مقاييسهم الخاصة للحكم على الروايات ، والأفلام ، والكتب ، والنغم الموسيقية » وهذا لا يعد نقداً أو تعقيباً بصيراً نبيهاً ، يفوق الجمهور إلى المطالعة » .

فليس ريب في ضرورة التعقيب الموضوعي ، المجرد من نزوات المعقب وهواجسه

(1) O. M. Young Last Essays p. 101 - 1950 (2) Hocking-The Freedom of the Press p. 80
(3) Rutelidge — The Politics of the Ungolitical
(4) Edgar Dale — How to Read a Newspaper p. 168, 169.

ومدوانه والذي ينطوي في النظر فقط إلى سفة الكتاب وعلى وجهة نظر كاتبة — ومن الخطأ ، كما يقول — والتر ألين في كتابه « قراءة الرواية »[1] « أن يحمل المعقب حملة شعبة على فن جديد لا يتفق مع مذهبه ، وأن يبدي سخطه على آراء مخالفة لآرائه ، بل عليه أن يلاقي الآراء المخالفة له ، في شرف وحياد ونزاهة ، كما يجب أن يثق الناس معتقداته وآرائه » . ويتبين مما تقدم ، أن التعقيب ليس عملاً سهلاً ، يقوم به كل من حمل القلم ، بل هو عمل فني هام ، ينطوي على الكياسة ، ويقوم على مؤهلات خاصة ، ولا يمكن أن ينهض به إلا كتاب متمرسون يمكنهم أن يتذوقوا الكتاب ويشموه Smell ، ويصلوا إلى جوهره ، ويكونوا عنه رأياً سليماً[2]

ولا يعدو التعقيب ، ما يثور من زبد التهجم على شياة الأقلام ، ولا الادعاء والتعالم ، ولا التنقيب الممض عن عيوب الكتاب ومساوئه ، كما لا بد منه مجرد التعريف به ، والاعلان عن صدوره وشكله ، والدوران حول موضوعه دوراناً عابراً ، والاستشهاد بفقرة من مقدمته ، لأن هذا النوع من الكتابة هو ما يسمى في الصحافة الحاضرة بالاعلان Notice — [3] والملحوظ أن فن المراجعة والتعقيب يكاد يساير فن النقد في مذاهبه ، فهناك تعقيب كلاسيكي ، يسير فيه المعقب على قواعد ثابتة لا يحيد عنها ، فيتحدث عن كل باب من الكتاب على ترتيب أبوابه ، ويكشف عن محاسنه ومساوئه ، ويهتم بأخطائه اللغوية والنحوية والبيانية ، وغاية هذا المذهب تعليمي ، واتجاهه مدرسي .

وهناك تعقيب رومانتيكي ، تنعكس فيه خواطر المعقب وتأثراته الذاتية ، وتنبثق منه في بعض الأحيان نفثات أصيلة واشراقات مضيئة ، وقد تنبعث منه في أحيان ، جمجات مخيفة ، وشطحات شرود .

وثمت تعقيب اجتماعي أو واقعي ، يدور جل اهتمامه حول موضوع الكتاب وهدفه ، وأثر العوامل الاجتماعية في كينونته ، وما يرقد وراءه من خير المجتمع .

هذه هي المذاهب الثلاثة التي تلحظ في فن المراجعة ، وقد لا يتقيد الكاتب بها ، وينسج مراجعته على مذهبين ، أو يجمع بطرف من المذاهب الثلاثة ، أو ينحو منحى مستقلاً أصيلاً .

[للبحث بقية]

---

(1) Walter Allen — Reading the Novel

(2) Leonard Russell-Literary Criticism (The Kemsley Manual of Journalism p. 267. 1950

(٣) Grant. M. Hyde. « الكتابة الصحفية » يراجع في هذا كتاب « جرانت . م . هايد » Journalistic Writing. Fourth Edition 1946 — p 302